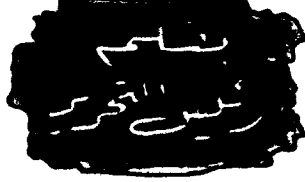


شهريات



وكان الوفد اللبناني مصمما على ان يشير في المؤتمر موضوع حرية التعبير في البلاد العربية ، انسجاما منه مع كل مواقفه السابقة ، ومتابعة منه لموقفه الأخير الذي شاركه فيه كثير من الادباء والكتّاب اللبنانيين والعرب احتجاجا على تدابير القمع التي اتخذت في الشقيقة مصر حيال عدد من الكتّاب والصحفيين والفنانين .

وقد التقى اعضاء الوفد اللبناني في تونس بكثير من الادباء العرب المشاركين في المؤتمر ، وأطلعوهم على نيتهم اثارة الموضوع منذ حفلة الافتتاح ، فوجدوا لديهم من التقدير لهذا الموقف والتشجيع ما زادهم ايمانا وتصميما . بل ان خمسة على الاقل من رؤساء الوفود وعدوا رئيس وفدنا وعدا قاطعا بتأييد كل ما سيقترحه في هذا الصدد ، حتى ولو أدى الامر الى الانسحاب من المؤتمر . وكان منهم رئيس وفد اتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ، لكنه عاد فوقف ، مع الاسف ، موقفا يتناقض مع الموقف الذي سبق ان وقفه الامين العام لاتحاد الكتّاب الفلسطينيين في بيروت .

وحيث وصل الامين العام لاتحاد الادباء العرب الاستاذ يوسف السباعي ، تبادل مع رئيس الوفد اللبناني التحية بالعناق لصداقتهما القديمة . لكنه اتاه في اليوم التالي متجهم الوجه يسأله هل صحيح ما سمعه من ان الوفد اللبناني سيثير موضوع حرية الفكر في مصر ، ويستغرب الا يكون رئيس وفدنا ، حتى ذلك الحين ، قد فاتحه بذلك وطلب منه المعلومات ، فأجابه ان الوفد سيثير الموضوع ، وان المعلومات عنه متوافرة لا نحتاج منها الى المزيد . فانقلب يهدده بأنه سيهاجمه هجوما عنيفا حتى لو أدى الامر الى « تخريب » المؤتمر . واكتفى رئيس وفدنا ، وقد ساءه منه ذلك ، بأن يذكره بأنه الامين العام لاتحاد الادباء العرب ، وان رئيس وفدنا بصفة كونه امينا عاما مساعدا

مؤتمر الادباء وحرية التعبير . . .

هذا الشهر ، خضنا في مؤتمر الادباء العرب التاسع في تونس ، معركة من اقصى المعارك التي خضناها دفاعا عن حرية الفكر والتعبير .

وفي البيان الذي أصدره اتحاد الكتّاب اللبنانيين بعد عودة وفده من المؤتمر وصف ضفاف لهذه المعركة وللموقف الذي اتخذناه في المؤتمر والخطوات التي سنخطوها في المستقبل . وهذا هو نص البيان :

انسحب وفد اتحاد الكتّاب اللبنانيين من مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي انعقد في تونس من ١٨ الى ٢٥ آذار .

كيف حدث ذلك ، ولماذا ؟

هذا ما يود وفدنا ان يوضحه في البيان الآتي ، ايمانا منه بواجبه في اطلاع الرأي العام اللبناني والعربي ، واستباقا لما سيقع من تشويه للوقائع والدوافع .

تلبية لدعوة اتحاد الكتّاب التونسيين ، سافر الى تونس في السابع عشر من آذار وفد اتحاد الكتّاب اللبنانيين المؤلف من ستة اعضاء هم : أحمد ابو سعد ، فؤاد الخشن ، الدكتور ميشال سليمان ، الدكتور ميشال عاصي ، انطوان ملتقى ، والدكتور سهيل ادريس الامين العام للاتحاد رئيسا للوفد . وتخلف عن السفر الدكتور خليل حاوي ، بسبب المرض ، وادونيس لظرف عائلي طارئ . وكان رئيس الوفد تلقى تذكرة سفر خاصة من اتحاد الكتّاب التونسيين . اما التذاكر الخمس الباقية فدفعت ثمنها صندوق اتحاد الكتّاب اللبنانيين ، على قلة موارده ، وحلّ اعضاء الوفد ضيوفا على المؤتمر ، كجميع الاعضاء الآخرين .

المؤتمر التصديقي على « ميثاق شرف » ينص على ان يتعهد الاتحاد العام للادباء العرب بالمبادرة الى شجب كل محاولة، في أي بلد عربي ، لقمع حرية الفكر ، واتخاذ جميع الخطوات الضرورية لرفع هذا القمع .

وجاء في كلمة الوفد : « ان معركة الحرية الفكرية جزء لا يتجزأ من معركة التحرير ، فاذا تقاعس فيها الأديب أو هادن ، فانما يتخلى عن واجبه في معركة التحرير . فلنبدا في هذا المؤتمر بالذات معركة حريتنا الفكرية ، ولنهب بكل سلطة تحسول ان تقمع الفكر ان تراجع عن محاولتها ، بل ينبغي الا نتردد في ان نطالب الشقيقة الكبرى مصر ، طليعة معركة التحرير ، بأن تلغي التدابير التي اتخذتها بحق عشرات من ادبائها وصحافيينها وفنانيها المبدعين . ولنحذر كل سلطة عربية اخرى من اتخاذ أي اجراء يطمع حرية الفكر وكرامة الادباء » .
وانتهت كلمة الوفد بالقول :

« اننا نحن ممثلي اتحاد الكتاب اللبنانيين نعهدهم ، أيها الزملاء الكرام ، أن نمضي في معركة الدفاع عن حرية الأديب العربي الى آخر الشوط ، وانه ليسعدنا أن ندعو مؤتمر الادباء العرب القادم الى الانعقاد في لبنان تحت شعار « حرية الكلمة العربية » .

وقوبلت كلمة الوفد اللبناني بترحيب كبير من اعضاء المؤتمر والمدعويين ونالت من التصفيق والاستحسان ما لم تنله أية كلمة . وكان المؤتمر يحسون اعضاء الوفد اللبناني على موقفهم الشجاع المسؤول . وكانت الوفود الوحيدة التي وقفت موقفا عدائيا من كلمة وفدنا هي وفود مصر والسعودية والكويت .

وابتدأت من بعد حمئة انضفط علينا ، وتدخل فيها بعض المسؤولين التونسيين وبعض السفارات العربية... وكانت تتلخص في قولهم : لقد سجلتم موقفكم . حسنا . ان هذا يكفي !

وكنا نبتمس ، ولم تكن ابتسامتنا نخلو من أشفاق : فلو اننا جئنا حقا لنسجل موقفا فحسب ، لكان سيادة الامين العام الاستاذ يوسف السباعي على حق في اتهامنا بالتمثيل بل بالتدجيل !

لقد كنا نريد ان نضع المؤتمر واتحاد الادباء العام عند مسؤوليتهما ، ونحملهما على اتخاذ موقف يؤدي حقا الى حماية حرية الأديب ورفع قمع السلطات عنه . من اجل ذلك تقدمنا الى لجنة الصياغة بأربع توصيات ، تحمل الاولى مشروع قانون من مادة وحيدة يتضمن « ميثاق الشرف » الذي أشرنا اليه في كلمة الوفد في حفلة الافتتاح ، وهو ينص على ان :

« يتعهد الاتحاد العام للادباء العرب بجميع هيئاته : المؤتمر العام ، والمكتب الدائم ، والامانة العامة ، بأن يبادر الى شجب كل محاولة ، في أي بلد عربي ، تستهدف قمع الفكر أو ارهاب الادباء أو التضييق على حرياتهم ، كما

للإتحاد ، حريص على نجاحه ، وعلى ان نجعل لمؤتمرات الادباء العرب شأنًا غير شأنها الهزيل ، بحيث تكون اداة فعالة في خدمة الادب والادباء .

وقال الاستاذ السباعي : - ستكون منزعجا جدا اذا علمت ان التدابير المتخذة في مصر هي في طريق الالغاء ، أو الفيت فعلا .

فأجابه بهدوء : - بل سأكون سعيداً جدا . انني اطلب منك ان تعلن رسميا عن الفائتها او قرب الفائتها حتى الغي الكلمة التي سألقياها في حفلة الافتتاح واستبدل بها اقتراحا قوامه توجيه الشكر والتحية الى المسؤولين في مصر على هذا الموقف .

فقال الامين العام : انني لا املك ذلك ! واعتبر رئيس وفدنا الحوار منتهيا ، ففارقه .

وفي كلمة الوفد اللبناني في حفلة الافتتاح ، جاء ان الادباء العرب ظلوا طوال الاعوام العشرين التي انقضت منذ انعقاد المؤتمر الاول للادباء في لبنان ، يضطهدون في حريتهم ويخضعون لشتى ألوان الارهاب والقمع . واستطرد الوفد الى القول بأننا ونحن نأتمر في تونس التي تفتح لنا صدرها واسعا، يعاني عدد من الادباء والمفكرين والصحافيين من كبت حرية التعبير لديهم ، أما بالاعتقال ، كما حدث اخيرا في البحرين ، واما بمنعهم من ممارسة حقهم في الكتابة وتهديدتهم في قوتهم ورزقهم ووسائل عيشهم واما بالايماز بحجب اصواتهم في المجلات والصحف والاذاعة والتلفزيون ووسائل الاعلام الاخرى ، يستوي في ذلك بعض ممثلي التيارات الادبية الحديثة الذين يرسمون خريطة مستقبل الادب العربي ، وبعض رواد الادب الكبار الذين صنعوا ، على صعيد الانتاج الرفيع ، مجد البلد الذي ينتمون اليه .

وأضاف ان الامانة تقتضينا ان نعترف بأن مؤتمرات الادباء العرب قصرت تقصيرا فادحا في تطبيق أهم هدف من اهداف الاتحاد العام للادباء العرب ، وهو الذي تنص عليه المادتان العاشرة والحادية عشرة من اهداف الاتحاد في نظامه الاساسي حين تقرر ان الدعوة الى « العمل على رعاية الأديب وحماية حقه في حياة حرة كريمة ، والعمل على حماية حق الأديب في حرية التعبير في نطاق المثل القومية العربية والانسانية » .

وجاء في كلمة الوفد اللبناني بعد ذلك : « لئن قصرنا في هذه السنوات العشرين الماضية في اداء واجبنا ، رغم ان صوتنا كان دائما يرتفع بالدعوة الى حماية حرية التعبير ، فان الاتحاد العام للادباء العرب مدعو اليوم ، اذا أراد لنفسه الكرامة والاحترام ، واذا أراد لمؤتمرانه وقراراته الجدوى والفعالية ، ان يتخذ موقفا واضحا وحاسما في هذا الصدد » .

وبروح من هذه الفكرة ، اقترح الوفد اللبناني على

يتعهد ببذل كل مساعيه واتخاذ جميع الخطوات الضرورية للدفاع عن حرية المفكرين والادباء العرب . ويكلف الاتحاد العام الامين العام للادباء العرب تنفيذ الاجراءات التي يعرضها هذا الميثاق » .

وتنفيذا لهذا الميثاق ، قدمنا اقتراحات بارسال برقيات الى المسؤولين في ثلاثة بلدان عربيه نعرف ان فيها تدابير قمعية ضد المفكرين والادباء في هذه الفترة . وكان نص البرقيه المقترحه الى الرئيس السادات كما ياتي بتوقيع رئيس المؤتمر :

« سيادة الرئيس انور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية .

باسم وفود الادباء المجتمعين في العاصمة التونسية في المؤتمر التاسع للادباء العرب ، نحیی نضال جمهورية مصر العربية لقيادة معركة التحرير ونناشد سيادتكم الغاء التدابير المتخذة بحق عدد من المفكرين والادباء والصحافيين المصريين لیتمكنوا من اداء واجبهم بالكلمة الشريفة المسؤولة في معركة التحرير » .

وكان هناك اقتراحان احران بارسال برقيتين اولاهما الى أمير دولة البحرين تناشده وقف حملة التهديد والتفتيش والاعتقال بحق الادباء والشعراء في البحرين وتطالبه باطلاق الشاعر قاسم حداد عضو وفد البحرين لمؤتمر ادباء العرب الذي اعتقل قبل ايام من انعقاد المؤتمر . والبرقية الاخرى المقترحة موجهة الى وزير خارجية المغرب تطالبه برفع الضيم عن الكاتب المغربي عباس برادة .

وفي جلسة رؤساء الوفود التي انعقدت لتدارس البيان الختامي وقعت مشادة بين الامين العام الاستاذ السباعي وبين رئيس وفدنا حين وصف موقفه بالدفاع عن حرية التعبير واقتراحه الغاء التدابير المتخذة ضد الادباء المصريين بأثهما عبارة عن « اطلاق رصاصتين على مصر » ثم النزول عن المسرح . وحين اجابه ان موقفه من مصر وتقديره لمصر وايمانه بانها طليعة معركة التحرر لا تحتاج الى بيان ، أصر على اتهامه ، فكان أن أجابه انه لا يحتاج منه الى « شهادة حسن سلوك » .

وهنا بدأت روح « التسوية » و « الحل الوسط » و « الاخوانيات » و « الاسرة الواحدة » تطفئ تدريجيا على الاجتماع . واذهلنا ان نرى حتى الوفود « الثورية » تشارك في اللعبة ، فتقدم اقتراحات التسوية التي تجعل اقتراحنا ميثاق الشرف فاقد لكل فعالية . واقترح البعض تقطيع اوصال الميثاق واخذ كلمة من هنا وكلمة من هناك ، رغم انه واضح وجلي وشديد الاعتدال ، وليس فيه ايذاء لاحد ، ووصف رئيس وفد مصر الشاعر عزيز اباطة اقتراح ارسال البرقية الى الرئيس السادات بأنه هجوم مركز على مصر ، متجاهلا ان البرقية تحمل تحية وفود الادباء « لنضال جمهورية مصر العربية لقيادة معركة

التحرير الكبرى » ومشوها المناشدة بالغاء التدابير باعتبارها هجوما . وظل رئيس وفدنا يدافع عن اقتراحنا ويعتبرها وحدة لا تتجزأ لان اقتراح البرقيات ليس الا بدءا لتنفيذ « ميثاق الشرف » ، واستخفنا باقتراح يوصي بتأليف « لجنة للاستقصاء والتحقيق » تسافر الى البلاد العربية المقصودة ، مشككين بفعاليتها ووقوع اعضائها في أسر السلطات ، وتخوف الادباء المضطهدين من التعرض لمزيد من الاضطهاد اذا كشفوا الحقائق كلها . الى ان اقترح البعض قفل باب المناقشة واجراء التصويت على اقتراحات الميثاق والبرقيات ، فادركنا فجأة ان الوفد اللبناني وقع في ما يشبه الغفلة حين نسي ان الوفود وفود « رسمية » ، وان التأييد الذي حظي به موقفنا من قبل يتوقف حين يصل الى حدود « الرسمية » ، وان الوفد اللبناني وحده يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة .

قد يقال ان هذا وضع مؤتمر الادباء العرب منذ نشأته ، وسيبقى كذلك حتى النهاية . فنقول اننا كنا نامل مع ذلك ان يستطيع المؤتمر ان يتخذ موقفا واضحا مسؤولا في أهم قضية تواجهه : قضية حرية التعبير ، والا فما قيمته وما شأنه !

وطرح اقتراح « ميثاق الشرف » على التصويت ، فسقط . نعم ، سقط ميثاق الشرف !

ونهض رئيس الوفد اللبناني قائلاً انه ينسحب من المؤتمر ، فاحاط به « اصدقاؤه » يقنعونه بالبقاء وبقبول التصويت « الديموقراطي » ، فقال بانه يرجئ اعلان موقفه النهائي الى جلسته المؤتمر الاخيرة ، ريثما يتشاور مع أعضاء الوفد ، وطلب ان يحتفظ بحقه في اعلان ذلك ، فوافق رئيس المؤتمر .

وبالاتفاق مع الوفد اللبناني ، أعد الكلمة القصيرة الآتية :

« ايها الزملاء ، أعضاء المؤتمر التاسع للادباء العرب . لقد حرص الوفد اللبناني ، منذ وصوله الى تونس ، على ان يطرح قضية اضطهاد الفكر والادب في بعض البلدان العربية ، ويقنع رؤساء الوفود باتخاذ موقف حاسم منها ، لكنه لم يوفق الى ذلك .

ولما كانت غايته الاساسية من المشاركة في هذا المؤتمر الدفاع عن حرية التعبير والعمل على اتخاذ توصية برفع القمع والارهاب في هذه البلدان ، مما لم يتوصل اليه مؤتمرهم في البيان العام الذي يميّع هذه القضية الرئيسية من قضايا الادب العربي اليوم ، فان الوفد اللبناني يعلن انسحابه من المؤتمر ، معاهدا نفسه ان يواصل في ميادين اخرى كثيرة الدفاع عن حرية الفكر وكرامة الادب » .

لكن رئيس المؤتمر رفض ان يعطي رئيس الوفد اللبناني الكلمة حين طلبها في الجلسة الاخيرة ، فذكره

بهذا المعنى الى مقر الاتحاد العام في القاهرة .
ثانيا - يعلن أعضاء الاتحاد المنتسبون الى اتحاد
الكتاب العرب في سوريا استقالتهم من هذه العضوية .
وقد أرسلوا برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد في دمشق .
ثالثا - يتبنى الاتحاد قضية كل مثقف عربي يقع
تحت ارهاب السلطات ويقوم بالدفاع عنه بثتى الاساليب
التي تحمل تلك السلطات على رفع القمع عنه . وقد بدأ
الاتحاد فعلا تنفيذ ذلك فأرسل البرقيات الثلاث التي
قدمها وقده الى مؤتمر الادباء العرب فجبن عن تبنيها .
رابعا - يسعى الاتحاد الى تأمين كل مساعدة مادية
ممكنة لأي مثقف عربي يضام في رزقه او معاشه بسبب
افكاره او اتجاهاته .

خامسا - يتبنى الاتحاد نشر كل مادة ادبية أو فكرية
ينتجها أي مثقف عربي ولا يستطيع نشرها في بلده
بسبب الارهاب ، شريطة أن يتوافق لهذه المادة المستوى
الفني المطلوب . ولا يرى الاتحاد مانعا من السعي لدى
المجلات ودور النشر التي يشرف عليها أعضاء في الاتحاد
لنشر بعض المواد غفلا من أسماء كتّابها شريطة أن يكون
متأكدا من معرفة هذه الأسماء في شكل سري .

سادسا - يعلن الاتحاد ، انطلاقا من هذا الموقف ،
انه سيقم صيف كل عام ملتقى ادبيا يطلق عليه « ملتقى
الادباء العرب الاحرار » يدعى اليه ادباء ومفكرون من
العالم العربي معروفون بتحررهم واستقلاليتهم . وسيقام
الملتقى الاول في الصيف المقبل تحت شعار « حرية الكلمة
العربية المسؤولة » . ويرجو الاتحاد ان يتخذ الخطوات
الضرورية لاقامة اتحاد بديل للادباء العرب في المستقبل
القريب .

سابعا - يعلن الاتحاد انه ، مع تقديره لما يتمتع به
الادباء في لبنان من حرية نسبية في التعبير ، سيستمر
في مشاركته في معركة الحريات التي تخوضها الصحافة
اللبنانية في هذه الفترة التي يبدو ان موجة سياسة القمع
والارهاب تقترب فيهما من شواطئنا، لفرض حلول استسلامية
معروفة .

ثامنا - يحرص الاتحاد أشد الحرص على أن يوضح
ان جميع خطواته السابقة وخطواته الآتية انما تستوحي
منطلقاته الاساسية في تأييد الاتجاه القومي العربي
والايمان بدور مصر الطبيعي وبتركة عبد الناصر التاريخية،
وفي محاربة الاستعمار والصهيوية العالمية ، وفي ادانة
الانزالية المحلية والرجعية العربية وتدعيم الاتجاه التقدمي
والمقاومة الفلسطينية ، والعمل على تجسيد ذلك كله في
الاتحاد الادبي اللبناني والعربي .

هذه هي الخطوط العامة لنشاط اتحاد الكتاب
اللبنانيين المقبل ، آمين ان يكون هذا النشاط ، بمنطلقاته
وانجازاته الممكنة ، عنوانا جديدا لمجد الحرية في لبنان
والوطن العربي كله .

« اتحاد الكتاب اللبنانيين »

بأنه وعده بذلك في جلسة الصباح ، فأجاب رئيس المؤتمر
ان الامين العام يقول ان هذا خرق لبروتوكول المؤتمر ،
فقال ان هذا غير صحيح ، وانه يطلب الكلمة بصفته امينا
عاما مساعدا ، لكن رئيس المؤتمر ظل يمنعه ، بينما كان
الامين العام على منصة الرئاسة ممتقعا لا يفوه بكلمة .
وقال رئيس وفدنا اخيرا انه يحتج على الرئاسة لهذا
الموقف ويعلن انسحاب الوفد اللبناني من المؤتمر .

وخرجنا من القاعة ، فانسحب معنا الشاعر علي
عبد الله خليفة رئيس وفد البحرين ، والشاعرة مليكة
العاصمي والكاتب عبد الجبار السحيمي عضوا وفد
المغرب الذي يرئسه الاستاذ عبد الكريم غلاب ، كما
انسحب معنا عضوان من الوفد التونسي هما جلول عزونه
ومحمود التونسي .

وصباح اليوم التالي ، كان أعضاء الوفود يستعدون
للسفر الى القيروان لمتابعة مهرجان الشعر فيها ، بينما
غادر الوفد اللبناني العاصمة التونسية عائدا الى لبنان .
هذا ما حدث في مؤتمر الادباء العرب في تونس ،
أوردناه بصدق وامانة ، ومنه نخرج بالاستنتاجات الآتية :
اولا - ان الاتحاد العام للادباء العرب يكرس نفسه
نهائيا مؤسسة رسمية تابعة للحكومات العربية ويجعل
أعضائه مرتبطين حكما بالسلطة ، بل هو جعل من نفسه
عميلا للسلطة في وجه الاديب ، يساعدها على قمعه
وارهابه .

ثانيا - ان الامين العام للاتحاد يخون واجبه ويخرق
مهمته حين يمارس نوعا من الديكتاتورية يخضع لها
المؤتمر ، وحين يمنع الامين العام المساعد الاول من
الكلام ، ثم انه كان عليه في هذا المؤتمر الا يقتصب دور
رئيس الوفد المصري ، بل ان يتجرد ويقف فوق الجميع ،
لمصلحة الجميع .

ثالثا - ان مؤتمرات ادباء العرب أصبحت في شكل
نهائي مجمعا للراغبين في السياحة والنزهات والاستمتاع
بالضيافة العربية والكرم الحاتمي .

رابعا - ان كثيرا من الوفود ، بحكم انها وفود
رسمية تابعة للحكومات العربية ، تضم بين اعضائها عناصر
مخابرات مهمتها وضع التقارير عن نشاط الوفد الذي
تنتمي اليه لمزيد من الارهاب والضغط . وكان يسيرا
علينا ان نرى كيف كان بعض الأعضاء ، ممن يؤيدون
موقفنا الى ابعد الحدود ، يلتزمون الصمت ويتحاشون
لقاءنا خوفا من عين المخابرات اليقظة التي تحصي عليهم
أنفاسهم .

من اجل هذا كله ، يعلن اتحاد الكتاب اللبنانيين انه
قرر اتخاذ الخطوات الآتية :

اولا - بعد انسحاب اتحادنا من مؤتمر الادباء العرب
التاسع ، يعلن انسحابه كذلك من الاتحاد العام للادباء
العرب بكل هيئاته ، ويعلن استقالة امينه العام من مجلس
تحرير مجلة « الادباء العرب » . وقد أرسل الاتحاد برقية

كان أكثر ما ألمني ، بالإضافة الى ما أورده البيان ، موقفان وقفهما الاستاذ يوسف السباعي وكان متجنبا عليّ فيهما كليهما :

الاول اصراره على اتهامي بالهجوم على مصر وبما سمّاه تصويب « رصاصتين » أليها ، ومحاولة القيام بدور البطولة في المؤتمر ، ، انه يخالف في ذلك ضميره ويخادع نفسه ، لانه يعرف جميع مواقفني في الدفاع عن مصر ، وفي تلقي السهام ذونها في صدري ، وفي تعريض كثير من مصالحني للاذى في سبيلها . وليست صداقتي الشخصية له الا مظهرا من مظاهر محبتي لمصر . ولكن مصر ليست هي يوسف السباعي وحده ، ولا صالح جودت وانيس منصور وعزيز اباطسة وعبد العزيز الدسوقي وحدهم . انها ايضا نجيب محفوظ ويوسف ادريس والفريد فرج وأحمد عبد المعطي حجازي ورجاء النقاش وأمل دنقل وسواهم كثير ، وحين نهض للدفاع عن حق هذه الفئة الاخيرة في حرية التعبير وناشد المسؤولين الغاء الاجراءات المتخذة بحقهم ، فانما ندافع ايضا عن مصر ونعبر عن حينا لها . وقد كان أخرى وأجدر بالاستاذ السباعي ، وهو الامين العام للادباء العرب ، ان يسعى لرفع هذه الاجراءات قبل انعقاد مؤتمر الادباء العرب في تونس . ولكنه بدلا من ان يقدر لنا موقفنا في الدفاع عن عشرات المثقفين المصريين الرموقين ، ويلتزم جانب الموضوعية ، يهاجمنا ويتجنى علينا بالتهمة الباطلة . . . قال لي الاستاذ السباعي ، في المقابلة القصيرة التي

تمت بيننا قبل بدء المؤتمر :

— لولا انهم أصدقاؤك ، ما رفعت الآن صوتك . . . والا فلماذا لم ترفعه من قبل احتجاجا على اعتقال ادباء وكتاب آخرين ؟ لماذا لم تتكلم حين ظل انيس منصور أربعة أعوام في السجن ؟

فأجبتني : — ان لي بالطبع أصدقاء كثيرين بينهم . ولكن بيني وبين بعضهم الآخر خلافات في الاتجاه والنزعة . انما المسألة مسألة مبدأ الدفاع عن حرية التعبير لدى الجميع . وأما اني لم أرفع صوتي دفاعا عن انيس منصور حين اعتقل ، فقد يكون هذا صحيحا ، ويجب ان نتدارك بعد اليوم هذا التفسير ، لا ان نتمادى فيه ، فنسكت عن تدابير الارهاب الجديدة ، لمجرد اننا سكتنا عن مثلها في السابق !

وفاتني ان اسأل الاستاذ السباعي : هل احتج هو أو رفع صوته مدافعا عن انيس منصور ، وهو الامين العام لاتحاد الادباء العرب ورئيس اتحاد الادباء المصريين ؟

على اني ذكرته ، في معرض ردّي على تهمة « تمثيل » دور البطولة ، ان صوت وفد لبنان الى مؤتمرات الادباء العرب كان دائما يرتفع بمهاجمة سياسة القمع والارهاب لدى السلطات العربية ، وأني كنت شخصا ارفع هذا الصوت ، حتى انه (اي الاستاذ السباعي) كان غالبا ما ينزعج من كلمة الوفد اللبناني في المؤتمرات . . . ومع ذلك ، قانه لم يتهمنا من قبل قط بمثل ما يتهمنا به

اليوم من « تمثيل » و « بطولة » . . فلماذا ؟ ليسمح لي الاستاذ السباعي ان أورد له نبذة عن مواقفنا السابقة كلها . . .

في المؤتمر الاول للادباء العرب الذي انعقد في مضيف بيت مري بلبنان من ١٨ الى ٢٦ ايلول ١٩٥٤ ، القيت كلمة قُصرتها على موضوع حرية الفكر « الذي هو أخطر موضوع تواجهه » مشيرا الى الارهاب الفكري الذي كان قائما آنذاك في العراق ، داعيا الادباء الى توحيدهم وجهودهم للدفاع عن الحرية الفكرية « التي هي حظهم الاول وقوام حياتهم الفكرية في تأذية رسالتهم » (١) .

وفي صيف ١٩٥٧ جرت محاولات لاضطهاد الفكر والمفكرين في لبنان ، فأصدر ادباء لبنان مذكرتي احتجاج بعثوا بهما الى السلطة اللبنانية ، وكنت من الذين وقعوهما دفاعا عن حرية الفكر (٢) .

وفي يولييه ١٩٦٤ احتجت « الآداب » على استجواب القصاصة ليلي بعلبكي في بيروت ومصادرة كتابها « سفينة حنان الى القمر » وطلبت من المسؤولين رفع يدهم عن حرية الفكر في لبنان .

وفي مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد عام ١٩٦٥ ، أثرت موضوع عدد من الادباء والمثقفين العراقيين الموجودين خارج العراق ، كان اسقاط الجنسية العراقية عنهم يحول دون عودتهم الى وطنهم . وقد أثرت مرة أخرى في « الآداب » هذا الموضوع (٣) وطالبت الحكومة العراقية بالغاء ذلك القرار اللانساني والسماح لأولئك المفكرين والمثقفين العراقيين بالعودة الى الوطن (وقد ألقى القرار بعد ذلك فعلا) .

وفي المؤتمر السادس للادباء العرب الذي انعقد في القاهرة في شهر مارس ١٩٦٨ ، قلت في كلمة الوفد اللبناني :

« اذا كان من حقنا ان ندعي ان السلطات في معظم البلاد العربية كانت تحول دون ان يتمتع الفكر بحرية التعبير التي هي الشرط الاساسي للانتاج الحقيقي ، فمن واجبنا ان نعترف بأنهم قلة نادرة اولئك المفكرون والادباء الذين ناضلوا دفاعا عن حرية الفكر او قاموا بتضحية من أجل المحافظة على حقهم في تلك الحرية . . . ولا نحسب ان من حق اديب ان يطلب من الجندي في الساحة ان يستشهد دفاعا عن حرية الوطن ، اذا لم يكن هو نفسه مستعدا ان يستشهد دفاعا عن حرية الفكر . . . يجب ان نعترف اننا نادرا ما وقفنا في وجه الارهاب الذي كانت تمارسه السلطات على فكرنا حين تهددنا باعتقال حرياتنا وألسنتنا ، وتمنع اشخاصنا من عبور اراضيها ، وتمنع صحفنا وكتبنا لمجرد اننا كنا ننتقد احيانا انظمتها أو تصرفاتها . . . » (٤) .

(١) راجع « الآداب » ، العدد العاشر ١٩٥٤ .

(٢) راجع « الآداب » ، العدد التاسع والعدد الثاني عشر ١٩٥٧ .

(٣) راجع « الآداب » ، العدد العاشر ١٩٦٦ .

(٤) انظر « الآداب » ، العدد الرابع ١٩٦٨ .

وفي المؤتمر السابع للادباء العرب الذي انعقد في بغداد في نيسان ١٩٦٩ قلت في كلمة الوفد اللبناني للمؤتمر :

« ... ان النضج الفني لكل أدب يتطلب شروطا لا تتوفر لكثير من نتاجنا الحديث ، أولها ورأسها الحرية ، حرية التعبير عن الرأي وحرية النقد ، ذاتيا كان ام موضوعيا . ويجب أن نعترف هنا بأن هذه الحرية ما تزال مضطهدة في كثير من البلدان العربية ، وان عدم توفرها بالقدر الكافي هو الذي يزهّد كثيرا من الادباء في الانتاج والابداع » (٥) .

وفي مؤتمر الادباء العرب الثامن الذي انعقد في دمشق (ديسمبر ١٩٧١) قلت في كلمة الوفد اللبناني :
« ... الذي لا شك فيه هو ان مؤتمرات ادباء العرب لم تستطع حتى اليوم ان تنفذ التوصية الهامة التي لا بد من تنفيذها ليكون اكل مؤتمر أدبي شأنه وقيمته في حياتنا الثقافية العربية : توفير حرية التعبير للاديب العربي ليتمكن من القيام برسالته في معركة المصير (...) والحق ان الاديب العربي يشكو منذ فترة طويلة ، وفي معظم البلدان العربية ان لم نقل فيها كلها ، من ان هذه الحرية غير متوفرة له ، لان هناك دائما سيفا مصلتا عليه ، يتخذ مرة صورة الارهاب ، ومرة صورة المحاكمة ، ومرة صورة الرقابة ... ويكون ذلك تارة بحجة الدفاع عن الدين ، وطورا بحجة صيانة الاخلاق ، بل حتى بحجة صيانة الثورة طورا آخر ... وما من شك في ان هذه الحجج كثيرا ما تكون وهمية ، وانها تخفي وراءها نزعة الى القمع هي نزعة السلطة اجمالا حين يوجه لها النقد . ويستوي في ذلك جميع السلطات القائمة ، ولا أستثني من ذلك سلطة بلدي لبنان الذي ، على ما فيه من حريات ، لا يتورع أحيانا عن سجن كاتب وارهابه اذا املى عليه اجتهاده ان ينتقد بعض رؤساء الدول (...) وعلى ذلك يبقى ادبينا العربي تحت شبح الارهاب والقمع ، فيؤثر في كثير من الاحيان الصمت أو يلجأ الى المداورة ... وينعكس هذا الوضع على الموقف الادبي عامة ، هذا الموقف الذي يعاني الآن ازمة في الابداع لعلها اشد الازمات التي مرت بالفكر العربي منذ نصف قرن . ولسنا نريد ان نخلي الاديب نفسه من بعض هذه المسؤولية ، فانهم قلة أولئك الذين يتخذون الادب رسالة ليناضلوا بالكلمة ويدافعوا عن حقهم فيها ... ولكن يبقى مع ذلك ان سلطة السلطة هي الاقوى . فلئن كان ثمة اديب يجرؤ على التعبير عن رأيه ويجد ناشر مجلة او كتاب يجرؤ على تقديم انتاجه ، فسيدركه سيف الرقابة والمنع ، اذا لم يدركه سيف المحاكمة والقمع ! (...) لتندارس قضية الرقابة ، ولننظر في امر الفأئها او تقليصها او نقلها الى اتحادات الكتّاب ، ولننتج للافكار ان تتصارع وتتحدّور ، ولنرفع

عن فكر الكاتب كابوس الخوف ليجد الطمأنينة التي تتيح له الانطلاق في سماء الابداع والخلق ، ولكن لا بد لنا ، ونحن نطالب بذلك السلطات ، من ان نتعهد بأن نناضل من أجل أمتنا ، ونكافح من أجل شرف الكلمة » (٦) .
هذه نبذة عن مواقف الوفد اللبناني الى مؤتمرات الادباء العرب وسواها ، وقد كان الاستاذ السباعي شاهدا حيا على هذه المواقف باعتباره امينا عاما لاتحاد الادباء العرب ، ولكنه لم يتهمنا قط « بالتمثيل » في أي منها ، فلماذا نكون « ممثلين » حين يأتي الحديث فقط عن ارهاب الادباء في مصر ؟

على ان موقفه الاشد ايلاما لنا كان ذلك الذي اتخذه في الجلسة الختامية للمؤتمر ، حين قرر معني من الكلام وطلب من رئيس المؤتمر الأستاذ محمد المزالي تنفيذ ذلك . في تلك اللحظة التي وقفت فيها رافعا يدي اطاب الكلام ، فأشار لي رئيس المؤتمر ببسده ان اجلس ، أحسست بما يشبهه خنجرا ينفرس في لحمي ... وغشيت عيني غمامة سوداء وانا أصرّ على طلب الكلام ، ثم تجسدت لي فجأة « مأساة » الاديب العربي كلها ، هذه المأساة التي جئنا الى تونس لنرفع صوتنا احتجاجا على انها ما تزال تفرض على الاديب العربي ، قاذوا « بالمسؤولين » يفرضونها علينا نحن ايضا ، فنعيش هذه « المأساة » ، مثلا حيا صارخا ، في المكان الذي جئنا نفضحها فيه .
وكان خضوعنا للصمت يعني قبول الارهاب ... ولكننا اتينا نكافح الارهاب ونطالب باطلاق صوت الاديب العربي ، أتى كان .

وفي قاعة مؤتمر الادباء العرب ، ظل صوتنا منطلقا رغم المنع والقمع ، رمزا حيا صارخا على ان صوت الاديب العربي لن يخنق ...
كان صوتا واحدا في وجه الاضطهاد والقهر والظلام ، ولكن كانت تتلجج به صدور كثيرين من أعضاء المؤتمر تحجب اصواتهم موانع وارتهاكات يقاومونها في نفوسهم بلا ريب ، وان كانوا لا يستطيعون دائما قهرها ...
وحين غادرنا قاعة المؤتمر وخرجنا الى العراق ، فتحنا صدرنا للسماء وتنشقنا الهواء النقي ، مصممين على ان نمضي قدما في درب الحرية ، وفي الدفاع عن الحرية ، وفي معانقة عشاق الحرية ...

ووجدنا عزاءنا ، نحن أعضاء الوفد اللبناني الذين لم يكونوا يوما متضامنين متعاضدين كما كانوا ذلك اليوم ، وجدنا عزاءنا في خمس أيد أمتدت الينا من تونس والمغرب والبحرين ، خارقة حجب السلطات ، مجسدة توق العشرات بل المئات من الادباء العرب الى النور والحرية ..

سهيل ادريس

